



صعود الربُّ بنا إلى السماء

دكتور

جورج حبيب بباوي

عيد الصعود

٢٠١٧

لُحِصَ الآبَاءُ فِي نَيْقِيَةِ لُبِّ الْإِنْجِيلِ فِي عِبَارَةٍ كَاشِفَةٍ عَنِ عَمَقِ خَيْرِ الْإِنْجِيلِ أَوْ الْبَشَارَةِ الْمَفْرَحَةِ: "هَذَا الَّذِي لِأَجْلِ نَحْنِ الْبَشَرِ وَلِأَجْلِ خِلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ..". جَاءَ بِالسَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ. وَتَهْتَفُ أُمُّ الشَّهْدَاءِ: "جَعَلَ الْإِثْنَيْنِ وَاحِدًا، أَيِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". وَنَحْنُ نَقُولُ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ: "إِذَا مَا وَقَفْنَا فِي هَيْكَلِكَ الْمَقْدَسِ نَحْسَبُ كَالْقِيَامِ فِي السَّمَاءِ"، وَ"أَحْسَبْنَا مَعَ الْقَوَاتِ السَّمَائِيَّةِ"، وَمَعَهُمْ نَسَبِّحُ: "قُدُوسٌ. قُدُوسٌ. قُدُوسٌ".

كنت أسأل نفسي دائماً: من أين جاءت هذه الجسارة على مخاطبة الثالث، وما هو مصدر هذه الثقة؟ وكان أساس التدبير هو السند. لقد وُحِدَ الْإِبْنُ الْكَلِمَةُ ابْنِ الْآبِ الْوَحِيدِ الْأُلُوهَةِ، ذَاتِ أُلُوهَةِ الْآبِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَحَدَّ هَذِهِ الْأُلُوهَةُ بِالْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ أُمِّ النُّورِ، وَبِذَلِكَ لَمْ تَعُدِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بُعْدًا جُغْرَافِيًّا، بَلْ صَارَتِ السَّمَاءُ هِيَ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ.

سألني أبي القمص مينا المتوحد عن جسد القيامة وحياة الدهر الآتي؟ وقلت له: لا أعرف. وابتسم، وقال: صورة هذه الحياة هي في حياتنا الجديدة في المسيح. الإنسان الجديد "المخلوق حسب الله" هو أيقونة القيامة، وهو الحياة السمائية.

السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ تَبْدُو مَقُولَةً غَرِيبَةً فِي عَالَمِ الْوَجَعِ وَالْأَحْزَانِ وَالْقَتْلِ وَسَفْكَ الدَّمِ وَحَرْقِ الْكِنَائِسِ. وَلَكِنْ الْأَرْضُ دُونَ سَمَاءٍ، هِيَ سَبَبُ ذَلِكَ الْبَلَاءِ وَالطَّاعُونَ الَّذِي حَوَّلَ عَقْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ سَمَائِيٍّ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ اللَّهِ إِلَى عَقْلٍ تَرَاوِي أَرْضِيٍّ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الذَّاتِ الَّتِي رَغَبَ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَعَشَقَهَا، فَصَارَتِ هِيَ ذَاتَهُ *Being* أَوْ كِيَانَهُ الَّذِي يَفْضَلُهُ عَلَى الْكِيَانِ أَوْ الذَّاتِ الَّتِي خُلِقَتْ وَوُهِبَتْ مِنَ الثَّلَاثِ.

لقد وَحَد السماء بالأرض في مسيرة التدبير عندما جعل الناسوت، هيكل الله. ولذلك، قال للسامرية: ليس على هذا الجبل ولا في أورشليم حيث هيكل إله عهد إبراهيم واسحق ويعقوب. وفي ذلك الهيكل الجديد طرد كل أشكال الانفصال بتوحيد اللاهوت بالناسوت، ثم أباد الموت، صُلب بعزة الألوهة، وقام بعزة الألوهة، وبذلك أباد فساد الجسد، ثم قام حياً بمجد الألوهة، وأخذ الجسد الجديد الذي لا موت فيه إلى ذات عرش الآب وجلس رأساً لجسدٍ واحدٍ هو الكنيسة، يملك عليها بالحبّة والعطاء الدائم.

كيف جاءت السماء إلينا؟

جاءت بطوفان المحبة "وليس شيءٌ من النطق يستطيع أن ينطق بلجة محبتك للبشر". وتعيد عبارة القديس الوعي بأصلنا: "خلقتني إنساناً لأنك محبٌ البشر". ومع طوفان المحبة، أو لجة المحبة، سَكَب الروح المعزّي، ذلك الذي ندعوه بثقةٍ في عطاءٍ لسنا نحن مصدره، ولم نطلبه، بل وُهَبَ لنا بالوسيط والشفيع يسوع رب المجد؛ لأنه بالوساطة والشفاعة يسكُب دائماً روحه القدوس علينا من حضن الآب.

جاء المعزّي بعد صعود الرب لكي يكشف لنا أعماق التدبير؛ إذ ينقل حياة الابن: الميلاد والمعمودية والصراع في البرية والصلب والقيامة إلينا نحن، معلناً التصاق الرب بنا.

جاءت السماء يومَ وُلدنا من جديد من الله نفسه، وليس من لحم ودم وإرادة البشر، بل ولادة جديدة ليس لها أصل أرضي، "بل من فوق".

جاءت السماء إلينا يومَ مُسِحنا بالروح السمائي المعزّي بمسحة يسوع لكي نصبح مسيحيين. وصارت الأبعاد الجديدة ليست الطول والعرض والارتفاع، بل الطول هو الأبد، والعرض الشركة في حياة الله، والارتفاع هو ما فوق ما هو ترابي، أي ما يعلو على اللحم والدم، أي الفهم الذي لا يتكون من خلال الخبرة الحسية التي لا تعرف أن للحياة مصدراً آخر غير أرضي، هو الله الآب.

لقد صارت المحبة هي المقياس السّمائي، ولهذا فعندما تغيب المحبة،
نسقط في بالوعة الشريرة وتغمرنا مياه الأحقاد القاتلة لا مياه الحياة التي "كل من
يشرب منها لا يعطش إلى الأبد".

تحيةً لشهداء المنيا الذين دُبحوا علانيةً؛

لأن الحياة الحرّة أفضل من الحياة الترابية التي يقيدُها الخوف.

ولنعلم أنه عندما تلد الكنيسة شهداء، فذلك علامة على أنها كنيسة حيّة؛

لأن شهادة الدم أعظم من شهادة اللسان.

د. جورج حبيب بباوي